من قال أن الذي يجري في سورية كله شر؟!

الكاتب : محمد فاروق الإمام

التاريخ : 12 فبراير 2012 م

المشاهدات : 10926

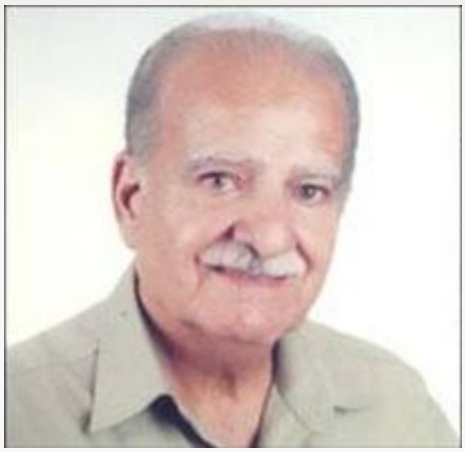

لا تزال محرقةُ السلطة الباغية في دمشق تعيث في الأرض الفساد منذ أحد عشر شهراً، ولا تزال مَناظرُ الأَشْلاء وشلاَّلاتُ الدماء تنْزِفُ في أرض الشام من القورية والقامشلي شرقاً وشمالاً وحتى بانياس ودرعا غرباً وجنوباً، مروراً بحمص الثكلى وادلب الجريحة وحماة اليتيمة، مَشاهد الأشلاء وتناثر الأعضاء وبحار الدماء والتدمير والتخريب فاقت المعقول، وأدْهشت العقول، فآهٍ ثم آه، مِن مَرارات فاضت بها القُلُوب، ولَوعاتٍ في الضمير لا نملك معها إلا الحوقلةَ، واستقطارَ الدموع، والاستعاذةَ بالله ـ تعالى ـ من طاغية لا يرقُب في سوري إلاً ولا ذِمَّة!

قُلُوبٍ قدت من جلمود الصخر، نُزِعَتْ منها الرحمةُ والرأفة والإنسانيَّة، وألسنةٍ حداد، لا تفتر في تلفيق الأباطيل وفبركة الأكاذيب وقلب الحقائق.

لسنا في هذا المقام بحاجة أن نستذكرَ الفواجع على كثرتها، ونستدرَّ المواجع على فظاعتها، لسنا بحاجةٍ أن نصوِّر توجُّعاتِ المُصابين، ولا آهاتِ المقْهُورين، ولا أنَّاتِ المكْلومِين، ولا عويل الثكالى ولا نحيب الأرامل ولا بكاء اليتامى، ولا صرير أبواب وأعمدة المساجد ولا قبابها أو محاريبها وقد مرت عليها يد تتار العصر فصيرتها أثراً يحكي همجية وبربرية حكام الشام البغاة.

لنتجاوز هذا كلَّه؛ فعدساتُ الإعلامِ وشاشات الفضائيات قد كفتْنا نقلها، والصورةُ أبلغ من ألفِ قولٍ ومقال، وإنما سيكون الحديثُ عن خيوط بيضاء، في أزمتنا السوداء.

فحديثنا اليوم سيكون عن المكاسبِ التي حققتها هذه الثورة المباركة، والخيرِ الحاصلِ الذي غاب مع ظلام الأزمة، وغَبْشِها الداهم وجراحاتها وعذاباتها.. ففي الحديث عن مكاسب الثورة سلوى لآلامنا، نستعلي بها على تشاؤُمِنا ونحيي بها جذوةَ الأمل في نفوسنا، فما أضيق العيش لولا فسحةُ الأملِ!

لقد فضحت هذه الثورة سَوْءَةَ السلطة الباغية، هذه السلطة التي أصَمَّت الآذان دُهُورًا بشعارات المقاومة للعدو الصهيوني والتصدي لمؤامرات الغرب وإفشالها، واحتضان المقاومة ودعمها، فإذا هذه السلطة الباغية ترتكب من المجازِر والقَتْل والوحْشِيَّة في بضعة أشهر ما لَم يرتكبْه الصهاينة منذ اغتصابهم لفلسطين!

لقد تيقَّنت الشُّعوب العربية التي خُدعت من قبل هذه السلطة الباغية أن التقنُّع بالممانعة ما هو إلا كذبة كبرى تُغَطِّي بها هذه

السلطة الباغية خيانتَها وحمايتها للعدو الصهيوني الذي استوطن الجولان بعد أن احتلها دون دفع أو مدافعة منذ العام 1967م، وقد انسحب منها الجيش العقائدي، الذي يزمجر اليوم في مدننا على أجساد أبنائنا بخيلاء وغرور واستعلاء وجبروت، كيفياً بأوامر من الأسد الأب، مخلفاً السلاح والعتاد الذي لم يستعمل منحة للعدو الصهيوني، لأنه كان جزءاً من الاتفاق، وترك الجولان المحتلَّة منطقة آمنة ناعمة مسالمة لم يسمع أزيز رصاصة ضالة في سمائها، ولم تُرْمَ حتى بحجر واحدة، رغم كل الجرائم اليهودية في بلاد الإسراء والمعراج واجتياحها للبنان مرتين.

ومن مكاسب هذه الثورة المباركة أنها عرَّت سياسة الصفويين العَوْراء؛ وفضحت الذراع الصفوي في لبنان (حزب اللات)، الذي تلمّعت صُورتُه كثيرًا في بلاد الشام والبلاد العربية، لادِّعائه الوقوف مع الشعوب المظلومة، فإذا هو اليوم يقف مع الظالم الجزَّار في سياسته وكذبه، فأصبح أهلُ الشام اليوم لا يحتملون أن يَروا علم هذا الحزب مرفوعاً فنكسوه وأحرقوه، ومزقوا صور رئيسه وداسوها بالأحذية والنعال، بعد أن كانت تملأ الشوارع والساحات وتعلق في صدر جدران البيوت والمنازل والمؤسسات!

وعرَّت هذه الثورة المباركة الطغمة الطائفية الحاكمة في العراق، التي كم شتمت وأدانت السلطة الباغية في دمشق وحمّلتها ما يجري في العراق من تفجيرات ونزاعات ومجازر، ثم تتلوَّن كالحرباء، بإشارة من طهران، فإذا هي ترى أن هذه السلطة في سورية وطنية مقاومة وجودها ضرورة في الشام، تمدها بالقتلة المأجورين والسلاح والعتاد والأجهزة الإلكترونية والمال.

وإن من أعظم مكاسب هذه الثورة المباركة انتصار القِيَم، والثبات على المبادئ، والإصرار على إزالة هذه العصابة الحاكمة الباغية التي فاقت جرائمها كل جرائم من سبقوها من طغاة ومستبدين، وكسرت حاجز الخوف ونكست كل الأصنام التي بقيت مقدسة لأكثر من أربعين سنة.

لقد ثبت هذا الشعب السوري الأبي ثباتًا يَعِزُّ نظيره في عالم اليوم، رغم تخاذُل القريب والبعيد، ولسانُ حالهم: مرحبًا بالمنايا في سبيل عزتنا ودِيننا، ورفع الظلم القاهر عنا، فإمَّا حياة تسر الصديق، وإما ممات يغيظ العدا.

ولعل من مكاسب هذه الثورة المباركة الكبرى، المكاسِب السِّياسيَّة التي يتَّسع مداها كل يوم، لقد وصل صوتُ المعارضة السورية الشرق والغرب، وتعاطَف معها المسلمون وغير المسلمين، وأصبحت قضيتهم عادلة عند جميع المُنْصِفين والعقلاء، وأصبحت السلطة الباغية في دمشق عارية منبوذة بلا صديق أو نصير، اللهم إلا من حليف شيطان يستوطن قم وآخر يسكن في الضاحية الجنوبية من بيروت، وفيتو رخيص من موسكو، مما جعلها تعيش في عزلة إقليميَّة ودولية، هذه الثورة الشعبيَّة التي فرضتْ نفسها، هي التي فرضت التغيير في المواقف الغربيَّة، التي كانتْ بالأمس القريب سندًا للأنظمة الاستبدادية وعوناً للطغاة لها على شعوبها.

وكان من أعظم مَكاسِب هذه الثورة المباركة اجتِماع الناس وتوحُّدهم ونسيان خلافاتهم تحت راية إسقاط هذه السلطة الباغية وإعدام رأسها.

وكانت ذروة مكاسب هذه الثورة المباركة أن شكوى هؤلاء الثائرين (حسبنا الله ونعم الوكيل)، وشعارهم (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)، ورؤيتهم (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)، وعزاؤهم (لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون)، ويقينهم (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)، وسلواهم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون)، وشعارهم (الموت ولا المذلة) وأمنيتهم (النصر أو الشهادة).

فرغم المآسي المهولة والجراح الغائرة، ورغم تقطيع الظلمة أوصال المدن ومنع أبجديات الحياة عن الشعب، من ماء وغذاء وحليب ودواء وكهرباء واتصالات، حتى عمَّت الحاجة، وشاعت الفاقة، إلاَّ أنَّ الناس لم ينسَ بعضهم بعضًا، لقد شاهَد العالَم كيف يعيش أهلُنا في سورية حياة التعاوُن والأُخُوَّة والإيثار، فأخرجتْ لنا هذه الأحداث معادن رجولية ضحت بأرواحها من أجل إسعاف مريض، أو مداواة جريح، أو إيصال القوت للأحياء المحاصَرة المقطعة الأوصال رغم تعرضهم لرصاص

قناص أو زخات نيران الحواجز.

هذه هي الشام التي حدثتنا عنها بطون كتب التاريخ.. هذه هي الشام التي كانت رمز العِزّة والكبرياء والشموخ والمجد والسؤدد، فعلى ثراها دُفن سيف الله المسلول خالد بن الوليد، وأمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح، وفي أرضها عسكر موكب الفاروق عمر بن الخطاب ثلاثة أيام في أرض الجولان، وهو في طريقه لتسلم مفتاح أبواب القدس، الشام موطن الخلافة الأمويَّة ومنها انطلقت جيوش الفتوح شرقاً حتى أسوار الصين، وغرباً حتى أبواب باريس، وهي التي خرَّجت من مساجدها وجامعاتها ومعاهدها ومدارسها للأمة آلاف العلماء والفُقهاء والأُدَباء والمبدعين.

ستبقى دمشق الفيحاء منارة للعروبة والإسلام رغم أنف حكامها البغاة الجهلة السفهاء، وستعود كما كانت قلب العروبة النابض حيوية وإبداعاً وفكراً وعطاء ونمواً ومقصداً. ولن تكون بصمات هذه الطغمة الحاكمة الباغية إلا سحابة صيف عابرة، سيطويها التاريخ في بطون صحافه السوداء المعتمة، فقد علّم أحفاد الأمويين الدنيا أن الدبابة والمدفع وراجمات الصواريخ لن تكسر إرادة الشعوب أو تقل من عزيمتهم أو تحد من إقدامهم، فكانوا خير خلف لخير سلف، شعارهم (نموت أو ننتصر).

المصدر: أرفلون نت

المصادر: